

الأفعال التأثيرية وسياقها التداولي في قصيدة
الأميرة للشاعر (محمد الفاطمي)

م. م حوراء شهيد حسين

مديرية تربية ذي قار

öwúñüöyô96GN ø mñæÉš M

يتناول هذا البحث مجموعة من الأفعال التي تُحدث أثرًا في المخاطب أو السامع سواء أكان الأثر جسديًا أم فكريًا، أم شعوريًا، بوساطة أفعال إنجازيه ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة ما، إذ يرصد لنا الشاعر في قصيدة «الأميرة» سردًا قصصيًا عن واقعٍ جرت فيه أحداث سبي، وتعذيب، وتنكيل في إطار زمني محدد، وقد اعتمد على بنية هرمية تجتمع فيها جملة من الأفعال بسياق توأصلي بينها علاقة تبادلية؛ لأنَّ أحدهما يتضمن الآخر؛ لذا اتخذت الدراسة متخذًا مفاهيميًا مستعينةً بما يسميه «جون أوستين» (لازم فعل الكلام) أو (الفعل التأثري) وفقًا لتسمية «سيرل» كونه يتعلق بالنتائج التي يُحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب، فالتكلم لكي يقول شيئًا فإنه لا بد أن يفعل شيئًا. وقد أدرك «أوستن أنَّ الفعل التأثري لا يلزم الأفعال جميعًا، فمنها لا تأثير له في السامع أو المخاطب، كما تتباين ردود فعل المخاطب أو الفعل التأثري في مستويات مختلفة. وعلى هذا الأساس توزعت الدراسة على ثلاثة محاور هي: التأثير الجسدي، والتأثير النفسي، والتأثير العقلي، حُتِمَت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الفعل التأثري، التأثير الجسدي، التأثير العقلي.

“Effective Actions and their Discursive Context in the Poem ‘Al-Amira’ by Poet Muhammad Al-Fatimi”

M.Sc. Hurra Shahid Hussein

Qar Thi in Education of Directorate

hwrashhyd964@gmail.com

Summary

This research deals with a set of verbs that affect the addressee or the listener, whether it is a physical, intellectual, or emotional effect, through verbs of achievement produced by the speaker in a regular grammatical structure laden with specific purposes in a specific context that works to convey a message, as the poet monitors us in a poem “The Princess” is a fictional account of a reality in which events of captivity, torture, and abuse took place within a specific time frame based on a hierarchical structure in which a number of actions meet in a communicative context, between which there is a reciprocal relationship. because one includes the other; Therefore, the study took a conceptual approach with the help of what he calls “John Austin” (the intransitive verb of speech) or (the influencing act) as he calls it “Searle” because it relates to the results produced by the performing act for the addressee, so the speaker, in order to say something, does something. Austin realized that the affective act does not accompany all actions, as some of them have no effect on the listener or the interlocutor, just as the reactions of the addressee or the affective action vary at different levels. On this basis, the

study was divided into three axes: physical influence, psychological influence, and influence. mental, concluded with the most important findings of the research, and a list of sources and references.

Keywords: affective action ,physical influence ,mental influence

المقدمة:

إنَّ النصوص الأدبية بأجناسها المختلفة تُنتج في محيط اجتماعي مشحون بأفكار وعواطف متباينة، وتنجز بمجموعة من الأفعال الكلامية التي تحتاج إلى أن تؤول وتُحلل، وقد قدّم باحثو الحقل التداولي تصنيفاً لتلك الأفعال يعتمد على الاختلافات المقترنة بأفعال الكلام، وكان من بين تلك الأفعال (الفعل التأثيري) الذي يمثل النتائج والتبعات والعواقب التي يولدها الفعل الكلامي، وتؤثر في أفعال أو مشاعر المخاطب أو المستمع أو المتكلم، وتعد هذه النتائج خارج نطاق اللغة، ودراستها أيضاً خارج دراسة اللغة (الخليفة، ٢٠٠٧، ٩١)، وفعل الكلام التأثيري (هو الفعل الذي ننجزه جراء قولنا لشيء ما) (عمران، ٢٠١٢، ٥٨)، ويصل « أوستن » إلى أن أفعال الكلام التأثيرية غير اتفافية، والغرض منها الوصول إلى هدف وإنتاج تبعات القول (عمران، مصدر سابق)، ٥٩)، مما يعني أن فعل الكلام التأثيري هو الأثر الذي يحدثه فعل الكلام الإنجازي في المخاطب، وعليه أتاحت تداولية الفعل التأثيري لتحليل الخطاب منهجية لسانية جديدة تدل على قصد المتكلم، وتحقق في سياقات الإتصال الفعلية (يول، ٢٠١٠، ٨٨)، ويعد من الضروريات لاكتمال (دائرة فهم المنطوقات، والنصوص مرتبطة بوظائفها، وسياقاتها الحقيقية) (علوي، ٢٠٠١، م، ٣٠٧)، ولم يتعد (سيرل) عن تعريفه لهذا الفعل، لكنه أطلق عليه تسمية أخرى وهي

(الفعل القضوي) (الطلحي، ١٤٢٣هـ، ٢٣٠، والصبيحي، ٢٠٠٨، ٢٦).

ومن هذه المسلمة الأدبية انبثقت فكرة الدراسة في هذا البحث، فقامت على دراسة الأثر الناتج من إنجاز فعل القول (الفعل التعبيري) والفعل المتضمن في القول (الفعل الفرضي)، وما يحققه القائل بقوله من نتاج، وما ينجز عنه من تبعات، كإزعاج المخاطب، وتخويفه، وإقناعه، أو حمله على سلوك معين، أو صرفه عنه، متخذين من قصيدة (الأميرة) للشاعر « محمد الفاطمي » التي تروي قصة سبي حرائر رسول الله ﷺ بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهله وصحبه في واقعة الطف سنة (٦١ هـ) عينة للدراسة والبحث؛ نظراً لما يتوافر فيها من مصاديق التأثير باستحكام سماته وملابسات ملامحه، لتأتي أهمية القراءة اللسانية التداولية للقصيدة في ضوء آلية (الفعل التأثيري وسياقه التداولي)؛ لما تتصف به هذه الآلية من قدرة على تأطير الدلالة وترسيم حدودها، كما يُعد في الوقت نفسه آلية من آليات انضباط القراءة، ومن ثم يُبعد المستمع أو المتلقي عن الشطط في التأويل، ويحدها عن المروق في أخلاقياته، ومن هنا يكمن هدف الدراسة وغايتها.

ضم البحث على أساس تحكيم منهجية التوزيع ثلاثة محاور، المحور الأول: مستوى التأثير الجسدي، ويتضمن هذا المستوى أفعالاً إنجازية تترتب عليها آثار جسدية، وهذا المستوى يبين شراسة وعداء للإنسانية بصورة عامة، وعداء لآل بيت النبي بصورة خاصة.

أما المحور الثاني فقد جاء بعنوان: التأثير النفسي، وهذا النمط من التأثير يختص بالآثار النفسية الشعورية جراء الرحلة الشاقة من كربلاء إلى الشام وما تبعها من مواقف وأحداث أثارت الأحزان في النفوس، أما المحور الثالث فقد كان بعنوان:

التأثير العقلي: يتكأ هذا المستوى على التأثير بالمخاطب بالحجة، والدليل، والمنطق، وقد كان لهذا التأثير دوراً مهماً في كشف مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، ووحشية «يزيد بن معاوية» وعدم أهليته لخلافة المسلمين، ونجاح الثورة الحسينية وخلودها على مر الأزمان والعصور، وُخِّمَتِ الدراسة بما توصل إليه البحث من نتائج مهمة، وقائمة للمصادر والمراجع.

التهديد:

تعد قصيدة «الأميرة» من قصائد الشعر الحديث التي تميزت بينائها السردية الذي سمح بانفتاح النص على أفاق مغايرة، ومن ثم كون فضاء لحكي يروي فيه الشاعر قصة واقعة الطف الأليمة وما فيها من قتل، وسبي، وحرق، إذ رصدت كل تلك الأحداث مجتمعة عبر أفعال الشخصيات، والأحداث الزمانية والمكانية، فقد أستطاع الشاعر (محمد الفاطمي) وهو أحد الطاقات الشابة في الشعر العراقي الحديث أن يروي قصة الأميرة السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، وما كابدته من سبي هي وحرائر رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد مقتل الإمام الحسين وإخوته في واقعة الطف سنة (٥٦١هـ).

فقد صنع الشاعر (محمد الفاطمي) في نسيج قصيدة «الأميرة» أفعالاً تأثيرية مختلفة ذات مستويات متنوعة منحت النص الشعري أفضاً واسعة، ومسافات لانهائية في تلقي القصد التداولي، فراحت القصيدة تصدح بالأفعال الوحشية والممارسات اللاإنسانية التي قام بها جيش (يزيد بن معاوية) بحق الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته.

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر (محمد الفاطمي) من مواليد محافظة الحلة وقيم في محافظة كربلاء، بدأ تجربته الشعرية منذ عام (٢٠٠١م)، وقام بتقديم برنامج

(بابلون) لمدة عشر سنوات، شارك في العديد من المهرجانات الشعرية والثقافية والأدبية داخل العراق وخارجه، له قصائد مؤرشفة على جميع وسائل التواصل الاجتماعي ولاسيما على اليوتيوب، نالت قصيدته (الأميرة) التي ألقاها في برنامج (وجيها بالحسين) صدى واسعاً، كما افتتح قراءتها في مهرجان العراق (الوفاء لرمز الوفاء) في محافظة البصرة.

المحور الأول

مستوى التأثير الجسدي

يتعلق هذا المستوى بالتأثيرات السلوكية الإجتماعية في إطار الملفوظات اللغوية على الصعيد المادي على نحو قول الشاعر (محمد الفاطمي)، (٢٠٢١)، قصيدة الأميرة،

(COM.YOUTUBE //;HTTPS>WATCH

لم يبقَ من تلك الرجالِ لها سوى رَجُلٍ وقدْ كانتْ يداهُ مَكْبَلَةً
صارَ الحديدُ مراقبًا خطواتِهِ بحرارةٍ يهوي يعانقُ أرجلَهُ
وهنا السؤألُ عن احمرارِ ثيابهِ أوَمِن دمٍ أم من حياءِ السلسلَةُ

تضمن السياق التداولي للنص أفعالاً إنجازية لغوية ترتبت عليها أفعالاً تأثيرية جسدية مادية غير لغوية ؛ وذلك في تعبير الشاعر (لم يبقَ من تلك الرجال - كانت يداهُ مكبلة - صار الحديد - يعانق أرجله)، فالفعل المنجز هنا إبادة جماعية، وهذا ما يدل عليه فعل النفي الإنجازي الذي تصدر الحوار (لم يبقَ من تلك الرجال...)، وبالاعتماد على السياق التاريخي الذي نص عليه الدرس التداولي في تحليل النص الأدبي وخضوعه (لخطوتين متكاملتين: الوصف والتأويل التاريخي) (بغورة،

٢٠٠٥، ١٦٤)، يكون للنص سياق تاريخي يسدل الستار عن الإبادة الجماعية التي قام بها « يزيد بن معاوية بقيادة » عمر بن سعد « بحق سبط النبي الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم يتبقَّ من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سوى الإمام علي السجاد (عليه السلام) (الأربلي، ١٤٢٦، ج ٢/ ٥١٥)، وقد ترتب على هذا الإنجاز الفعلي فعلاً تأثيرياً جسدياً وجد في السياق التداولي نفسه، وهو تكييل الرجل المتبقي بالحديد (يداه مكبلة - صار الحديد، يعانق أرجله)، وبوساطة هذا الفعل السلوكي المادي استطعنا أن نقرأ النص قراءة تداولية، بينت الشراسة، والظلم، والتصرف اللاإنساني من قبل جيش « يزيد بن معاوية » فلم يكتفوا بقتل الحسين (عليه السلام) وأولاده وإخوته، وبني أخيه، وبني عمه، وأصحابه، بل قاموا بتقيد ما تبقى من سلالة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد أطر الشاعر نص قصيدته بسياق تخيلي يوضح صورة القيد (سلسلة الحديد)، والمقيد الإمام السجاد (عليه السلام) فسياق (صار الحديد مراقباً خطواته - يهوي يعانق أرجله - حياء السلسلة) يبعد المخاطب عن قبول المعنى اللفظي للعبارة، ويبحث عمّا وراء الكلام من معنى ودلالة، فالشاعر يرسم صورة إستعارية للقيد الحديدي أراد من مخاطبه أن يدركها، ولا يريد خداعه وتضليله، فاحترام الشاعر لمبدأ الصدق في تقصي المعلومة ونقلها احتراماً ضمناً يحتم على المخاطب أن يستخلصه، عبر الملفوظ الاستفهامي السياقي (أومن دم أم من حياء السلسلة)، فبعد تمن هذه الصور الاستعارية مجتمعة من مراقبة الحديد خطوات المقيد ومعانقته رجله وحيائه من هذا الفعل الشنيع، يجد أن المعنى التداولي لتلك الاستعارات أن قلوب قادة الجيش المعادي للحسين (عليه السلام) قست، وجفت، وبيست من الخير والرحمة فهي بالقساوة أشد من حديد القيد، فالقيد أحمرّ خجلاً من سليل الرسول وراح يعانقه، ويراقب خطواته خشية وقوعه على الأرض، وهذا يستلزم دلالة قصيدية

أخرى، وفعلاً تأثيرياً يثني بوحشية جيش « ابن سعد » وتفننهم في إبادة عائلة الإمام الحسين عليه السلام ما بين القتل الجماعي، والتقييد، والأسر لما تبقى من صلبه.

والمتبع لقصيدة « الأميرة » يجد أن هذا المستوى من الأفعال التأثيرية هو الأكثر استعمالاً في القصيدة، وتباين ردود الأفعال الجسدية تبعاً لسياق موقف الأفعال الإنجازية من القوي إلى الأقرى حسب تصاعد حبكة الأحداث السردية كما في قوله (قصيدة الأميرة، (مصدر سابق):

فقدته في إحدى الحروب بنين ويقتله غدرًا أمةً متخاذلةً
وأخوه ودّع نفسه من بعده لا يستطيع العيش أن يتخيله
ورأوا بتلك العين حقّ أخوةٍ فرموه من تلك السهام الباطلة
وأرادَ يُخرجُ سهمه لكنه ألم لتلك العين لن يتحمّله

يمكننا القول: إن النصوص الأدبية جميعها التي رثت سلالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبكت على مصارع قتلاه تناز بصدقها وموضوعيتها في سرد الأحداث التاريخية، وهذا جعلها في حيز القبول التداولي؛ لاحترامها قاعدة الكيف التي تنص على الصدق وفقاً لقانون « كرايس » التعاوني (لا تقل ما تعتقده كذباً، لا تقل شيئاً يعوزه عندك دليل كان) (يول، (مصدر سابق)، ٦٨)، فأخبار مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وأهله متواترة في أغلب كتب الأخبار، وهذا منحها القوة والصحة، وتأسيساً على ذلك يكون النص أعلاه نصّاً حياً، والأفعال الكلامية التي وردت فيه (فقدته، قتله، فرموه من تلك السهام، أرادَ يخرج سهمه، ألم لتلك العين لم يتحمله)، أفعالاً حقيقية واقعية، والآثار الجسدية المادية التي ترتبت عليها من الفقد، والقتل، والرمي بسهام وإصابة العين وعدم استطاعة نزع السهم منها جراء الأمل

الذي أحدثته جميعها ردود أفعال حقيقية واقعية، إذ استثمر النص الأفعال التأثيرية وسياقاتها التاريخية في بيان الأساس الذي أقام عليه « يزيد بن معاوية » خلافته وهتكه حرمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا يستلزم فعلاً تأثيراً آخر وهو الابتعاد التام عن الدين الإسلامي السماح القائم على المودة والرحمة والتسامح، والرجوع به إلى الجاهلية الأولى من القتل، والتعذيب، والتنكيل، فضلاً عن ذلك فقد كشف لنا الملفوظ الدلالي (غدرًا أمةً متخاذلة) الذي عقب الفعل الكلامي (قتلته)، تحاذل الناس في تلك الحقبة وتحملهم مسؤولية القتل، وهذا الفعل يترتب عليه فعلاً تأثيراً وهو أن خذلان الأمة أعان الظالم على القتل وهتك الحرمات.

والذي يلاحظ في هذا النص هيمنة السرد الغائب على بنيته، والروي بهذا المنظور من سمات السرد الكلاسيكي، إذ يكون الراوي الكلي على علم و معرفة تامة وهيمنة خارج نطاق الحكيم، أي على حد تعبير « سعيد يقطين » (روي من منظوره الخاص ؛ لأنه سيد العالم السردى الذي يملك مفاتيحه وأسراره بكثير من الثقة والاطمئنان) (يقطين، أساليب السرد الروائي، أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين، الكويت، ٢٠٠٩، ١٤١)، وفي سياق تعدد المقاصد التداولية يظهر ما يأتي:

- السرد الغائب يسهم في تعزيز الأفعال الإنجازية وما ينتج عنها من أفعال تأثيرية، ولا تشتت ذهن القارئ إذا ما استعمل تنوع الأصوات والنبرات.
- تحقيق الحيادية في سرد الأحداث التاريخية الخاصة بسرد واقعة الطف.

إن النصوص المتقدمة التي هي محط التحليل والدراسة ظهر فيها تأثير الفعل الجسدي داخل البنية السياقية للنص، وإذا تمعنا في القصيدة نجد أن هناك أثراً للأفعال الإنجازية خارج نص القصيدة نستطيع الاستدلال عليها عن طريق سياق

الموقف للنص نحو (قصيدة الأميرة، (مصدر سابق)):

أصحابه، أبنائه، ورضيعه إخوانه... رحلوا لأشرف منزلة

سجلت ملفوظات النص محتوي قضوياً وذلك في قول الشاعر: (رحلوا لأشرف منزلة) مفاده الاستشهاد، بمعنى أن من جاء ذكرهم في النص جميعاً من أصحاب الحسين، وأبنائه، ورضيعه، وإخوته قد استشهدوا في طف كربلاء، وهذا ما نصت عليه أمات الكتب والسير (الأربلي، (مصدر سابق)، ج ٢ / ٥١٠)، وعليه أراد الشاعر إثبات المنزلة العليا التي رحل إليها كل من ذكر منهم، فهم أحياء عند ربهم يرزقون، وعليه فإن أثر الفعل القولي تحقق خارج السياق التداولي للنص.

وبالنظر للقيود الدلالية والتداولية التي يخضع لها العطف بين المحمولين في (أصحابه، أبنائه، ورضيعه إخوانه) تكون الحدود المتعاطفة حاملة لنفس الوظائف الدلالية والتداولية (المتوكل، ٢٠١٠، ٢٦١)، وعليه يكون (الرضيع) مشاركاً للكبار في وظيفة الاستشهاد والرحيل إلى الملكوت الأعلى، وهذا يترتب عليه فعلاً تأثيراً جسدياً وقع على (الرضيع) وهو «القتل»، وعن طريق هذه اللفظة اللغوية جعل منشئ النص المتلقي يتصور الفعل التأثيري الجسدي وهو القتل والموت وقع على طفل صغير، إذ يشير المعنى المعجمي للفظ (رضيع) إلى الطفل الذي لم يبلغ الستين (ابن منظور، ١٤١٤هـ، مادة رَضَع)، وتأسيساً على إطار المسرح اللغوي الذي يتحكم بهذه الألفاظ المتساوقة نجد أن القصد التداولي لهذا النص هو أن الحسين وأهله وأصحابه بما فيهم رضيعه تعرضوا للقتل دون شفقة ولا رحمة، وأن الجيش المعادي تخطى كل الحدود الإنسانية بقتلهم الرضع في واقعة الطف.

ومن مضامين هذا المستوى أيضاً قوله (قصيدة الأميرة (مصدر سابق)):

من حوله الأعداء حاطتٌ مثلما لو حاوِطت كلَّ المناجلِ سنبلَةٌ
ذبحوه عطشانًا، وكان لاسمها أثرٌ على تلك الشفاه الذابضة
سلبوه ثوبًا، واصبغًا، وعمامةً والخيلُ جالتُ كي ترَضَّ مفاصله

نلاحظ في قول الشاعر (ذبحوه عطشانًا، سلبوه ثوبًا، واصبغًا وعمامةً، الخيلُ جالتُ، ترَضَّ مفاصله) أفعالاً تأثيرية جسدية حددها السياق اللغوي للنص، إذ إنَّ أفعال الذبح، والسلب، والجولان، والرض جاءت نتيجة، أو ردة فعل للفعل الكلامي (حاطتُ) الذي اعتمد على التشبيه كضرب بياني مساعد في وضوح دلالة (الإحاطة)، فإذا أمعنا النظر في الصورة التشبيهية التي أوجدها الشاعر في قوله (من حوله الأعداء حاطت مثلما، لو حاوِطت كل المناجل سنبله) نجد أنَّ هذه الصورة محملة بدلالة مكثفة؛ لأنَّها حولت علاقة الشبه ما بين الأعداء المحيطة بالشخص المتحدِّث عنه — الإمام الحسين عليه السلام حسبما يشير سياق الموقف الكلامي للقصيد — والمشار إليه بضمير الغائب في الملفوظ (حوله)، والمنجل الآلة الحادة التي تستعمل في حصاد القمح إلى علاقة تطابق بوساطة اسم التشبيه (مثلما).

إنَّ الاستعمال الإشاري الوصفي الذي أحدثه الشاعر بوساطة علاقة المشابهة بين جسم الحسين المحاط بالأعداء والمناجل، من حيث نوع الإحاطة التامة من الجهات جميعاً من جهة، ومن حيث الكم أي الكثافة من جهة أخرى، فلفظة (مناجل) جاءت على هيئة جمع، ولفظة (سنبله) جاءت مفردة بتقدير الوقوع الحتمي وهذا العدول من الجمع إلى الأفراد قاد المخاطب إلى خاصية التأثير الجسدي، وما يترتب عليه من مدلول ذهني وتكوين صورة واقعية عن وقوف الحسين عليه السلام والأعداء تحيط به من الجهات جميعاً. وقد استنفر الشاعر كل أسرار اللغة العربية، وجعل منها أداة مطوّعاً؛

لكشف شدة التأثير الجسدي الذي وقع على الحسين لحظة الإحاطة، وستكلم عن ذلك بالتفصيل وحسب تراتبية الأفعال التأثيرية الجسدية التي أشرنا إليها فيما سبق وهي:

١. (ذبحوه عطشاناً): وهو الفعل التأثيري الجسدي الأول الذي نتج من إحاطة الأعداء بالإمام الحسين عليه السلام، والمتمعن في هذا الأثر يجده عبارة عن فعلين متلازمين، الأول: الذبح (قطع الحلقوم من باطن عند النصل) (الفراهيدي، ٢٠٠٥، ٣١٥)، والثاني: العطش (الحاجة الملحة إلى شرب الماء) (الفراهيدي، (مصدر سابق)، ٦٥٢).

٢. (سلبوه ثوباً واصبغاً، وعمامة): لم يكتفِ الأعداء بذبح الحسين عليه السلام عطشاناً، بل عمدوا إلى إحداث أثر آخر وهو السلب، ومن الطريف أن السلب قد تعدى للمبوسات من الثوب والعمامة إلى قطع الأصابع، وفي هذا الأثر انتهاك واضح لحرمة الميت، وما يتبعه من انتهاك واضح للشريعة الإسلامية، فقد نهى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم نهياً باتاً عن التمثيل بالقتلى بأي وسيلة سواء بالتشويه أو التعليق أو التقطيع (الطوسي ١٣٦٥هـ، ج ٦/١٣٨).

٣. الخيل جالت: وما تبع الذبح والسلب هو الجولان وهو (تتابع حركات مختلفة) (ابن منظور (مصدر سابق)، مادة (جال))، فقد تتابعت حوافر الخيول على جسد الحسين، ويعد هذا الأثر سبباً لأثر رض مفاصل الإمام (صلوات الله وسلامه عليه).

أدى الأثر الجسدي المتجسد في تلك الأفعال كفاءة تداولية مفادها: إن تلك الواقعة التي قُتل فيها الإمام الحسين عليه السلام تعد من أكثر الوقائع مأساوية في التاريخ؛ لما فيها من انتهاكات للشريعة الإسلامية، وممارسات وحشية، وأن تلك الأفعال تعدت حدود الفطرة الإنسانية، ولنا أن نصنفها ضمن أفعال السباع الضواري و الوحوش القفار، بل لعله أبشع من ذلك بمراتب كثيرة.

المحور الثاني مستوى التأثير النفسي

يمكننا أن نلاحظ هذا المستوى من الفعل التأثري بما يخلفه التلفظ بالعبارة من ردود أفعال، وأحاسيس، ومشاعر لدى السامع أو المتحدث أو حتى الحاضرين، ويمكن الحديث عن النية والقصد في إحداث هذا التغيير، بناءً على هذا يمكننا القول: إن المتحدث أنجز فعلاً (عمران، ٢٠١٢، ٥٧)، كما في النص (الفاطمي، مصدر سابق):

بَكَتِ الأَمِيرَةُ دُونَ دَمْعٍ ثَابِتٍ أَوْ دَمْعٌ يَبْقَى مِنْ بَكَاءِ مَهْرُولَةٍ
دَارَتْ بِهَا الأَزْمَانُ بَعْدَ كَفِيلِهَا سَكَتَتْ فَقَالُوا: هَلْ هُنَاكَ تَكْمَلَةٌ

تمثل الفعل التأثري النفسي في النص السابق في الملفوظات (دون دمع ثابت) الذي جاء نتيجة مترتبة على الفعل الكلامي (بكت)، الذي أنجز فيه المتكلم فعل البكاء الروحي النفسي الداخلي، دون أن يكون له أثراً جسدياً خارجياً.

إن المحيط التداولي للنص محيط نفسي متأزم، وهذا ما نلاحظه من ربط استعمال الفعل الإنجازي الاستفهامي الذي تصدر العبارة عن طريق أداة الاستفهام «الهمزة» (أَوْ دَمْعٌ يَبْقَى مِنْ بَكَاءِ مَهْرُولَةٍ) مع السياقات التاريخية التي تشير إلى هروب النساء وفرارهن بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في البراري خوفاً من النيران التي أضرمت في الخيام، وقيام السيدة زينب بنت الإمام علي (عليه السلام) بجمع شتات العائلة الفارة وتسكين روعها (المقرم، ١٤٢٥هـ، ٣٠٣)، فضلاً عن القرينة السياقية اللغوية المتمثلة في الحمل اللفظي (مهرولة) التي تعني (العدو والمشي، والهرولة الإسراع) (ابن منظور (مصدر سابق، مادة (هرول))، فبتحديد تلك القرائن تنكشف الأطر المعرفية لفعل

التأثير النفسي لاستيحاء المعنى التداولي، فالذعر، والخوف، وشدة الحزن، والإرهاق الجسدي كلها مجتمعة، وكانت بمثابة رسائل شعورية توحى لبناء حواجز نفسية دفيئة في النفس تحول دون البكاء المادي، وقد يكون تجلد الأميرة، وصبرها، وقوتها حال دون البكاء، أو لأنها كانت محط أنظار الأطفال والنساء فكان لا بد من التصبر ومدهم بالقوة لمواصلة المسير مع الأعداء.

وإذا عدنا للنص وجدنا الشاعر يعمد إلى فعلين تعبيريين هما (دارت - سكتت) يفيضان بالحنين للماضي، ولهما أبعاداً تداولية قصدها المتكلم، فقد أثبت الدرس التداولي أن هكذا أفعال تخص خبرة المتكلم وتجربته (يول، ٢٠١٠، ٩٠)، وعليه فإن الشاعر مطلع على السير التاريخية التي أثبتت أن السيدة زينب بنت الأمام علي (عليها السلام) هي من تولت رعاية الأطفال وحمايتهم وإكمال الثورة الحسينية بعد مقتل إختها في واقعة الطف، وهذا ما حدا بالشاعر أن يعبر بهذين الفعلين؛ ليحمل المخاطب إلى فعل غير لغوي شعوري نفسي وهو مقارنة حياة السيدة في وجود كافلها وكيف أصبحت بعد فقدته وسكوتها عن الاسترسال بالحديث يعضد ما ذهبنا إليه من معنى. إن الرؤية التداولية لمستوى فعل التأثير النفسي بمقارنة الأزمان الماضية والحاضرة تبين أنها لا تصف أحداث، فتلك وظيفة الأفعال، أنها تقوم على إثبات صدق القضايا فهي عناصر معدلة للأفعال لتناسب مع ما يتطلبه السياق المحيط للإنجاز) (موشلار، ٢٠٠٣، ١٧٤)، وبذلك أصبحت تلك الأفعال سبباً في فهم قصد المتكلم، ورغباته الشعورية.

إذا كانت العلاقات بين مكونات الخطاب إنما هي علاقات بين أعمال بدلاً من أن تكون علاقات بين أقوال، فإنه من غير المفاجئ إمكان حصول بعض الأفعال

التأثيرية النفسية بوساطة وحدات غير لسانية كالصمت لتكون إجابات ملائمة لأعمال استهلاكية (موشلار، وريبول، ٢٠١٠، ٥٢٨) كما في قوله (القصيدة، مصدر سابق):

رسموا المخططَ للسبا بسياطهم لأميرةٍ كانت تشير البوصلةَ
ومشوا بها وعيونها لبناتها فبغيبة الكفّال صارت كافلةً
وبكعبٍ رمحٍ أو شتيمة واليدِ ساروا بها وطريقهم ما أطولةً

تحيل الأفعال القولية في النص (رسموا، مشوا، ساروا) على واقع تجري فيه أحداث من سبي، وكفالة أيتام، وضرب وشم في إطار زمني محدد، إذ نلمح أنّ هناك وظيفة تداولية غير لسانية تربط بين وحدات النص تعينت عن طريق الأعمال التي قام بها الشخص المتحدّث عنه، وهي القيام بمهام الكفيل بعد غيابه، وبتلك الأفعال القولية وما ترتب عنها قد أدت جميعها كفاءة تداولية وهي:

إنّ سبي النساء كان مخططاً له مسبقاً فبعد القضاء على الحسين عليه السلام وأصحابه تكون الخطة سبي أهل بيته من النساء والأطفال، كما أنّ الطرف الآخر كان على علم بهذا المخطط لذا قام الإمام بتعيين كافلاً يرعى شؤون عائلته بعد قتله، وإعداده إعداداً نفسياً عبر التسليم المطلق لقضاء الله وقدره، وتحمل كل مشقات السفر من طول المسير وما يصحبه من ضرب وشم.

إنّ البنية المعمارية للنص قامت على ترتيب الأفعال عبر مسارات تصاعدية (رسموا المخطط - مشوا بها - ساروا)، فقد كانت اللغة وسيلة المتكلم في التعبير عن أفكاره الذهنية؛ وذلك عبر رصف الكلمات في جمل معبرة بعدها قوالب تحوي أفكاره، فالمسار الأول تحقق برسم مخطط السبي، بعدها يأتي المشي، ثم السير، والسير

غير المشي في اللغة (سار القوم) إذا امتد بهم السير من جهة إلى جهة معينة، والسير في القرآن للعظة والاعتبار، أما المشي فهو مجرد الانتقال من مكان إلى آخر سيراً على الأقدام (ماجد الدجاني، الفروق الدلالية بين سار ومشى، مجلة عالم الثقافة، //;HTTPS COM.WORLDOFCULRE2020، 2020)، وبذلك يكون الترابط التأثيري لهذه الأفعال مجتمعة هو الصمت، والحفاظ على سكينه العائلة طوال فترة السبي، ورد الفعل هذا أنجز على وفق مواضعه تكيفية اجتماعية فالمسبي هنا نساء وأطفال، والسابي رجال لا يوجد في قلوبهم رحمة وهذا واضح من الملفوظات (بكعب رمح أو شتيمه والد)، فالمسبي في موقف لا يستطيع معه درء الخطر المحدق به إلا بالصمت والتحمل والحفاظ على السكينه والهدوء، وإذا أخذنا الكفاءة التداولية من الفعل (سار) وهو العبرة كما تقدم، فيكون الصمت أولى أو جعل موقف السبي برمته شاهد حال على ظلم وتغطرس السلطات الحاكمة في سبي نساء مستضعفات وأطفال لا حول لهم ولا قوة.

المحور الثالث مستوى التأثير العقلي

في هذا المستوى يحاول المتكلم تغيير موقف مخاطبه فكرياً، إذ تسعى الأفعال الإنجازية إلى الحصول على معلومات لها هدفاً معلناً، ويكون لهذا المستوى عواقب بعيدة وخفيفة، كالتضييق على المخاطب، أو العمل على إرباكه (عمران) (مصدر سابق)، (٥٩) كما في النص: (القصيدة، (مصدر سابق)):

وصلوا بها للقصر، فهي أميرةٌ دخلت إلى قصر الطغاة مبجلةً
أذ كان طاغي العصر يفخر ضاحكاً ويظنها مكسورة ومولولة
شهرت سيوف كلامها في وجهه وقفت بكل شجاعة لتجادلته
بطشت، والقصر مال بعرشه في خطبةٍ لكنّها كالزلزلة

إنّ الحدث المحوري لهذا النص هو دخول (الأميرة) إلى قصر الطاغية (عبيد الله بن زياد)، لذا نجد الشاعر يستعمل مجموعة من الأفعال الكلامية نتج عنها وظيفة حجاجية عقلية، مكوناً سياقاً يملك طاقة فكرية تمثلت بصيرورة الحجاج من حجة تمهيدية إلى نتيجة كلية، وهي القصد التداولي الذي أراده الشاعر من بناء نصه في بيان غطرسة وظلم الحاكم وابتعاده عن نهج الإسلام القويم، فحضور البنية التداولية القصصية، التي كانت مقدمة بوضوح بما فيها من إشارات شخصية، ومكانية، وحوار مما يعني أنّ متكلماً ما يتحدث عن وقائع تاريخية، فذكر المكان (القصر)، والإشارة الشخصية (طاغي العصر) والحوار الذي دار بين الأميرة والطاغي المذكور، لتحطم الأميرة كل الأفعال الإنجازية التي مثلت الطاغي من الفخر (يفخر ضاحكاً)، وظنه أنّه قد كسر وأذل نساء الأمام الحسين بعد قتله (ويظنها مكسورة

ومولوله) عبر الفعل التأثيري العقلي الذي تجلّى بالسياق اللغوي (بطشت به) وغير اللغوي (سياق الموقف) (في خطبة لكنها كالزلزلة)، إذ جاء في الخبر أن السيدة زينب بنت الإمام علي (عليهما السلام) أوضحت في خطبة مدوية خبث «ابن زياد» ولؤمه بعد أن أوّمت إلى الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنهم على رؤوسهم الطير، وليس في وسع العدد الكثير أن يسكن ذلك اللغط أو يرد تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهية، والبهاء المحمدي الذي جلل «عقيلة» آل محمد «المقرم، (مصدر سابق)، (٣١١).

وعليه يمكن القول: إن مستوى فعل التأثير العقلي قد جاء على شقين، الأول: بث الرعب والخوف في نفس المخاطب (طاغي العصر) الذي قام بفعلي التفاخر والظن، وقد ترتب ذلك عبر أفعال ذات سلوكيات متعددة جاءت في السياق التداولي ذاته للأفعال المنجزة، فالأميرة (شهرت سيوف كلامها، وقفت بكل شجاعة، بطشت به)، والكفاءة التداولية من هذه الأفعال التأثيرية تتمثل بالدفاع القوي وممارسة الدور الرسالي من قبل الأميرة في الدفاع عن ثورة أخيها الحسين عليه السلام، وتأكيد موقعية أهل بيته العظيمة في الأمة، وتمزيق هالة السلطة والقوة التي أحاط بها «ابن زياد»، وبتلك الوقفة أفضلت محاولته وانطلقت تجييه بكل بسالة وصمود.

أما الشق الثاني: تعاطف الحشود مع كلام السيدة زينب (عليها السلام)، وهذا الشق نجده خارج سياق النص (المقام التداولي)، إذ تشير الأخبار إلى أن خطاب السيدة زينب (عليها السلام) قد أفضّل خطط السلطة، وأجج روح الثورة والرفض في أوساط الجماهير المسلمة ضد «ابن زياد»، وتعاطف الناس مع أهل البيت عليهم السلام (المقرم، (مصدر سابق)، (٣١٢).

وقد تتوالد الأفعال التأثيرية العقلية في المخاطب في محيط تداولي يستحضره،

ويبرز وجدانه، ويمس معتقداته إذ يقوم بردة فعل إزاء الموقف الذي يمر به (الجابري، ٢٠٢٣، ٣٠٩)، كما في النص (قصيدة الأميرة (مصدر سابق)):

قد حاول استفزاز بعض دموعها لقتيلها واختار بعض الأسئلة
قولي وكيف رأيت ذبح كبيركم قالت: جميلاً قولها ما أجمله
فالإصبع المقطوع صار علامةً حتى يدل لثورة متكاملةً

لا يزال سياق الموقف في النص يحكي موقف الأميرة مع طاغي العصر فالأفعال التأثيرية (قالت جميلاً، الإصبع المقطوع صار علامة، يدل لثورة) جاءت نتيجة للأفعال المنجزة (حاول استفزاز، اختار بعض الأسئلة) وقد اكتسبت تلك الأفعال التأثيرية بعداً حجاجياً عقلياً وعقائدياً، وهذا واضح من الازدواجية التلفظية التي وفرت لنا حسب «ديكرو» حجاجية لسانية، إذ يتعلق الأمر ((بمجملة الاقتضاءات التي تتولد من كل ما يمكن أن يقال عن المظاهر التعبيرية، والتكلمية، والحجاجية للغة، أي مختلف المعلومات التي يستند عليها الملفوظ، والمتعلقة بأولئك الذين يعتقد أن الملفوظ صادر عنهم، وهذه المعلومات تجدها مبثوثة في معنى الملفوظ ذاته) (راضي، ٢٠١٤، ١٦٣).

في هذا المقطع من القصيدة نجد أنفسنا أمام وضعية صوتية شديدة التداخل والتركيب، وكأننا أمام مهرجان حوارى بأصوات متفاعلة (قولي، قالت، قولها) فضلاً عن التضاد الحاصل في (الإصبع المقطوع، علامة لثورة متكاملة). إن الثيمة الحجاجية لهذه الازدواجية تكمن في الأفعال التأثيرية التي قدمنا لها (قالت جميلاً...)، ففي هذا الحوار القصير يتبين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والقداسة والرجم، انكشفت نفسيات كل من الفريقين، تصریح «ابن زياد» بالحق والعداء للحسين عليه السلام وأهل

بيته، والشهامة وبذاءة اللسان، وحقارة النفس ودناءة الروح وقذاراة الأصل، فهو يستفز امرأة مستضعفة ثكلى يعيرها بقتيلها، ولم يرعَ الحدود الإسلامية، والأعراف الاجتماعية، لكنها تقف كلبوة جريئة ترد عليه بقوة وتفخر بالقتيل السبب جاعلة من قتله والتمثيل بجسده (الإصبع المقطوع) علامة لثورة ضد الظلم والطغيان.

تأسيساً على ما تقدم يمكننا القول: إنَّ (قصيدة الأميرة) قد حققت فعلاً تواصلياً، وبلاغياً؛ لأنَّ المستمع أدرك قصد المتكلم وبذلك تحقق الفعل التواصل، وتعدى الإدراك إلى الفعل والإنجاز وعليه تحقق الفعل البلاغي، فالمستمع تضامن مع القصة وأدرك مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)، وتغطرس السلطة الحاكمة ووحشيتها عبر التأثير العقلي للأفعال، فالمحاجة العقلية بوصفها فعلاً تأثيرياً شخصت الفعل التواصل والبلاغي (ك آدمز، ٢٠٠٩، ٩٧).

أما التأثير البلاغي للمتكلم في المستمع قام على التأشير والتباعد، ويعتمد تفسير هذه التعابير على السياق وعلى قصد المتكلم، ولها أهمية كبيرة في إيصال أكثر مما يقال (يول، ٢٠١٠، ٣٧)، فبوساطة السياقات التأريخية استطعنا فك شفرات القصيدة ومعرفة إلى من كانت التعابير التأشيرية التي امتدت على جسد القصيدة.

الخاتمة :

قادت هذه الدراسة في ضوء تفعيل مفهوم من مفاهيم الدرس التداولي أو هو (الأفعال التأثيرية وسياقها التداولية) إلى جملة من النتائج أهمها:

١. إنَّ الفعل التأثيري شغل حيزاً كبيراً في قصيدة (الأميرة)، وكان بمثابة نواة رحيمة استدلالية تمكن المخاطب من الاهتداء إلى القصد التداولي، وهذا ما جعله محطة يلتقي فيها منطري الدرس التداولي (أوستين، و سيرل) على رغم الاختلاف الحاصل بينهما في الأفعال الكلامية الأخرى.

٢. حوت القصيدة على الكثير من المنبهات السياقية والأسلوبية، التي تتطلب من المخاطب أن يكون مزوداً بذخيرة معرفية، وفنية تسعفه في فك شفرات القصيدة، وتحريك بوصلتها على وفق الدلالة التي ينشدها المتكلم. هذا وأنَّ الدلالة الشعرية لا يمكن أن تُعد رهينة شفرة واحدة، بل تتقاطع فيها شفرات متعددة تمكن المخاطب من تأويل النص، والوقوف على المعنى الذي أراده الشاعر.

٣. توزع الفعل التأثيري في القصيدة ما بين التأثير الجسدي الذي كان الأكثر حضوراً، والأشد قسوة، والتأثير النفسي، والتأثير العقلي الذي قام على أسس حجاجية في إقحام الآخر والتأثير به.

٤. يكون الفعل التأثيري محصلة حتمية للأفعال الكلامية الإنجازية، فهو يحصل خارج إطار الملفوظات اللغوية، ويمكن الاستدلال عليه بوساطة سياق الأفعال اللغوية (السياق الداخلي للقصيدة)، والسياق غير اللغوي (ملف القصيدة).

٥. القصيدة في مجملها وثيقة تاريخية مهمة ليوم الطف وما تبعه من سبي حرائر رسول الله ﷺ، فقد استوعبت الأحداث بكل صدق وواقعية، كما كانت سمة القصة واضحة فيها جمع فيها الشاعر الظلم والحيف الذي وقع على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وظلم وجبروت وتغطرس السلطات الحاكمة، كما كشف ابتعاد تلك

السلطات عن الشريعة الإسلامية بما جاؤوا به من أفعال شنيعة أخرجتهم من الإطار الإنساني إلى شريعة الغاب والضواري.

المصادر والمراجع:

١. جمال الدين محمد ابن منظور،، تصحيح، أمين محمد ومحمد صادق، لسان العرب، ط٣(د.ت) ٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢. أبي الحسن علي بن عيسى الأربلي، تحقيق علي الفاضلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (١٤٢٦هـ) (د.ط)،، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام).
٣. د. زاوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنطوق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، (٢٠٠٥) ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
٤. حوراء شهيد الجابري، الحوار في شعر تشيع العصر العباسي دراسة تداولية،، (٢٠٢٣)، ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل - العراق.
٥. هشام عبد الله الخليفة، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي،، (٢٠٠٧)، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان.
٦. رشيد راضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحججيات اللسانية، (٢٠١٤)، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
٧. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، (٢٠٠٨) ط١، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر.
٨. ردة الله بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، (١٤٢٣هـ)، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٩. حافظ إسمايل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، (٢٠٠١)، ط١، عالم الكتاب الحديث، الأردن.
١٠. قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، (٢٠١٢) ط١، عالم

الكتاب الحديث للطبع والتوزيع، الأردن.

١١. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (٢٠٠٥) ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢. جون آدمز.ك، ترجمة د. خالد السهر، التداولية والسرد، (٢٠٠٩) ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق.

١٣. د. أحمد المتوكل اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، (٢٠١٠)، ط ٢، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان.

١٤. السيد عبد الرزاق المقرم، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، (١٤٢٥ هـ) ط ١، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم.

١٥. جاك موشلار، آن وريبول، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، (٢٠٠٣) ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

١٦. سعيد يقطين، الرواية والسرد (ممكنات السرد) أساليب السرد الروائي، أعمال الندوة لمهرجان القرين، (٢٠٠٩) الكويت.

١٧. جورج يول، ترجمة د. قصي العتاي، التداولية (٢٠١٠) ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

مواقع الأنترنت

١. ماجد الدجاني، (٢٠٢٠)، الفروق الدلالية بين سار ومشى، مجلة عالم الثقافة، <https://www.worldofculre2020.com>.

٢. محمد الفاطمي، (٢٠٢١)، قصيدة الأميرة، <https://www.youtube.com/watch>.

